الذبيحة في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

توطئة

لقد طُبع اهل البادية على حبّ الفيافي والقفار فيعيشون فيها احراراً آمنين من طوارق الايام والانام . فتراهم لا يطأطئون هامتهم تحت حكم حاكم بل حكمهم ان لا يكونوا محكومين فلذلك نزعوا بانفسهم عن مواطن الهوان وصانوها عن معرّة الذل والامتهان واكرموها عن خطط الصَّغار وأبوا الخسف والضيم . ولقد نأوا عن المدن الغنّاء وتنحّوا عن البلاد العامرة خوفاً من الاستعباد والاستبداد

ولمّا لم يدخل فيهم نور العلم والمعارف لبثت عقولهم على فطرتها الطبيعيّة الأُولى واصبحوا سائرين تحت عوامل المشاهد الطبيعية التي تحيط بهم من كل الاطراف . ولم تؤثر فيهم ديانتهم ولم يعُوا من فرائضها وشرائعها ما يغيّر حالتهم وطباعهم الجاهليّة . فالعوامل الخارجيّة هي اليوم اساس معتقدهم

فما هي هذه المظاهر المرهبة التي تحتاط بهم ؟ اذا سار البدوي في السباسب اياماً طويلة بين وقدات الحرّ ووطيسه وانتهى الى شجرة ضافية الظلال مورقة الافنان يجلس تحت اغصانها حيناً يتنسّم بنسيمها فيخال لهُ ان وليًّا او روحاً ساكن فيها فيكرمها بالذبيحة وينهى عن قطعها ويأمر ان لا يُتزّل بها أذى . فالخوف يدفعهُ الى اكرامها واجلالها . ولولا الرهبة التي تنالهُ منها لما فعل كما اثبتناهُ في اكرام الارواح والاولياء

يمرّ ذاك البدوي صادياً عطِشاً وقد طال به زمن الحرّ وكادت اغنامه تموت من الظمإ فيعاين جدول ماء وعشباً رطباً فيشكر ربَّ العين على انعامه بتقديم الذبيحة المعهودة . وكثيراً ما ترتفع الزوابع العظيمة فيهلع لها القلب رعباً واضطراباً وتسيل الوديان فتُخرب الزرع فلا يهدأ لها هادئ الّا بتسكين القوى الطبيعية والارواح بتقديم الذبائح

ويعتقدون ان حياتهم تتهدّدها الارواح الخبيثة في كل خطوة من خطواتهم فما

كاد الطفل يرى نور الشمس حتى يقدّموا لربّ العشيرة ضحيّة يستعطفونهُ بها ان لا يُنزل به مصاباً وهكذا تتبعهُ الضحايا في كل حياتهِ الى ان يَفِد الى ابواب الابدية. فالبدوي يرى الارواح الشريرة معدّة لإضرارهِ فلا يجد وسيلة تحجز الاذى عنهُ وعن اولادهِ وماشيتهِ الّا الذبيحة

وقد رأينا ان الصلاة عند الاعراب هي في آخر منزلة من الاهمية. فالضحيّة هي باعتقادهم الوسيلة الكبرى التي تهدئ غضب هذه القوى الطبيعية الخارقة. وقد قسمنا الذبائح الى غير دموية ودموية. ووصفنا ما رأيناهُ باعيننا ووعيناه في محفوظنا واوراقنا ايام كنّا في ارض البلقاء والكرك ولقد أتينا بذكر الذبائح في عهد الجاهليّة مما له صلة ببحثنا هذا. ثم انتقلنا الى تسطير الذبائح عند الاعراب في دهرنا الحاضر. فنقول :

الذبائح في الجاهليّة

انّا نجد الذبائح في كل الاديان في الاعصر الاولى . وهي انواع متنوّعة . فمنها ما هو إهلاك تامّ لتقادم جامدة ومنها ما هو إهراق دم . ولا نعني بها تلك التقادم الكاملة التي ظهرت عند آل اسرائيل بأبّهة وجلال وكانت مجلى للعواطف النبيلة الشريفة. فان الله عزّ وجلّ قد امر بها وسنّ فرائضها بل نريد أن نبحث عن الذبائح التي كانت تقدّم عند الساميّين . فهي ولا شك كانت ضرورية وكانت تناسب حق المناسبة شعور الانسان وما فيه من قوى عقلية وحسّية

كان الاقدمون يعدّون الله سيّداً مطلقاً لا ابّاً حنوناً . فكان لا بدّ لهُ من هدايا وتقادم ينال الربّ بها رضاهُ والتفاتهُ . وقد ظنّ الانسان الجاهلي ان خير وسيلة لتسكين القوى المجهولة التي كان يرى تأثيرها ولا يدرك كنهها هي الذبيحة فكانوا يستعطفون بها الالهة كما يُستعطف السيد العظيم بالهبات . وكانت الالهة عندهم تتحلّى تارةً بخصال البشر الحميدة وطوراً تتحلّى بمساوئهم وفسادهم

وكانت الالهة تتنسّم رائحة الذبائح وتلتذّ بها ولذلك قدّموا لها المآكل والمشارب الفاخرة كالخبز والخمر والزيت والحليب واللحوم المطبوخة والمشوية

وقد ارتأى بعض العلماء ان كنه الذبيحة عند القدماء قائم بان الاله يقطن في كل شيء ويمنح قوّته لا بل بعضاً من حياته لكل مخلوق حتى للحيوانات. فالانسان

على زعمهم يعتبر الله اباً رحيماً . فلكي تتقوى عرى المحبة بين الخالق والانسان كان المرء يقدّم الذبيحة ويشرب من دمها فهذه هي المناولة بها يشترك المؤمن بحياة الاله اشتراك الاولاد مع ابيهم على مائدة واحدة

فهذا الرأي ليس من الصواب على شيء لا بل هو بعيد عن مرمى الحقيقة بما لا يقاس والصواب انَّ عاطفة الخوف كانت هي المحرّكة لهم لتقديمة الذبائح اذ كانوا يشعرون في كل امر ان المخلوقات باسرها هي تحت سلطان الآلهة . فلا شيء يخرج عن حكمها من انسان وحيوان وجماد . ولذلك افردوا لها من محصولات المعمورة باسرها . فقدّموا لها حياة الانسان والحيوان واكرموها بزروعاتهم كالاثمار والحبوب ففي بادئ امرهم قدّموا الحبوب ثم لما تعاقبت الاجيال قدموا الحيوانات ثم الانسان

فالعرب الجاهليون كان يتعذّر عليهم ان يقدّموا الخمور والزيوت فاهرقوا الحليب الموفور في بلادهم . وكانوا يقدّمون من الحيوانات البعير والبقر والغنم والغزال . ففي شهر رجب كانوا يذبحون الذبائح على الانصاب من براكير الغنم وكانوا يسمّونها ترجيباً ولهم ذبائح في النذور وبعد الحروب وفي حلق شعر الراس وفي افراح الختانة

وكان الاعراب في آونةٍ من السنة يجمعون الذبائح وينحرونها على جبل عرفات ويدعونها لوحوش الصحراء او لطيور السماء وهم يدعونهُ عيد الاضحى . وقد ذكر في القرن الخامس القديس نيلوس انهم كانوا يقدّمون الذبائح البشريّة لآلهتهم فاخبر أن الاعراب هجموا في طور سينا على مناسك السيّاح فاسروا ابنهُ ثاودولس وعزموا على تضحيتهِ للزُّهرة لانهُ من براكير الغزو . وقد خاب املهم وساء طالعهم اذ غابت الزُّهرة عن الابصار . فاتوا ببعير طافوا بهِ ثلاث مرّات ونحروهُ فتقدم الجمع واخذوا يخطفون من لحمانهِ تبرّكاً واستعطافاً ولم يبقَ من الذبيحة شيء . ثمَّ فدى الغلامَ ابوهُ فنجا من شرّهم . وفي ذبائحهم الكبرى كانوا يبدون رجلًا تحت الهيكل ويذبحون الذبيحة ويأكلونها وهي نيئة وينضحون وجوههم بدمها

وكان كاهنهم المرشح لتقدمة الذبيحة شيخهم الكبير كما في ايامنا الحاضرة يتقلد السلطة من العشيرة ويتولى المناسك المشروطة . على ان كل اب او ربّ اسرة موكل عن اسرتهِ بتقديم الذبائح . وقد ذكروا للعرب كواهن كنَّ يتضرّعنَ لاجل الشعب وينبئنَ عن الغيب ولكنهنَّ لا يُقدمنَ على اهراق دم الذبائح

وكانت العادة عندهم اذا اوشك احدهم على الموت ان يوصي والده بان يذبح ناقته على قبره ويدفنها معهُ كي يظعن بها يوم الحشر لئلّا يُحشر على رجليهِ قال جريدة ابن الاشيم الاسدي في الجاهليّة وقد حضره الموت يوصي ابنه:

يا سعدُ اما اهلكنَّ فانني اوصيك انت اخو الوصاة الاقربُ
لا تتركنَّ اباك يمشي راجلًا في المشر يُصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعير صالح وتقي المطيّة انهُ هو اقربُ
ولعلَّ لي عما تركتُ مطيّةً في القبر اركبها اذا قالوا اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمنّي يوصي ابنه عند موته شعرًا:

ابنيَّ زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحلي قاتر
للبعث اركبها اذا قالوا اظعنوا مستوثقين مما لحشر الحاشر

وكانوا يربطون الناقة معكوسةَ الراس الى مؤخرها مما يلي ظهرها او مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون وليّة (حبل او جلد) فيشدُّون وسطها ويقلدونها عنق الناقة. ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمّون الناقة بليّة. ومنها المثل: «كالبلايا في اعناقها الولايا» ومما يجب التنبيه اليه ان باب الذبائح هو ملحق ضروري لمقالتنا عن الارواح والاولياء في البادية. اذ هي من مظاهر الاكرام للارواح والاولياء.

الذبيحة في دهرنا الحاضر

﴿ التقادم الغير الدموية ﴾ حينما يزهو العشب في شرقي الاردن وتخضرّ السهول والبطاح ويلاطف النسيم ويصفو جوّ السماء يقرّ البدوي عيناً اذ يرى السعادة ممثلة امامه فيتصوّر في مخيلته الخير العميم والحليب الوافر. فما يمضي شطر من الزمن حتى تكتظ الاغنام بعد نحولها وتدرّ ضروعها فيجمع صاحب القطيع الحليب في اناء خزفي او في ظرف جلدي ويمنع اهله واقاربه عنه اكراماً لربّ الغنم. فيقضون هكذا حيناً طويلًا لا يذوقون الحليب الى ان يستخرجوا منه السمن فيأخذون براكيرها ويقدمونها للمقامات المقدّسة او للكنيسة فيضيئون بها مصباح المعبد. فهذا ما يسمونهُ سماطاً. فكثيرًا ما رأينا النساء حاملات تلك التقادم الى جبل شيحان او للنبيّ شعيب او هوشع او كنيسة الخضر في الكرك.

ومن تقادمهم بكر الغنم الذكر يقطعون اذنهُ ويقولون: «هذا سماطك يا وليّ

الله . فاذا ثمار بين القطيع يبيعونهُ ويبتاعون بثمنه بخوراً او شمعاً ويقدمونهُ للمزارات المقدسة

وقد تصيّدنا بواكير الحبوب وشاهدنا شيخاً قد اتى من النبي موسى الى غرب بني صخر واخذ يجمع الصاع المقدَّم (والصاع هو مكيال يزن سبع كيلوغرامات) فقبل كل شيء يكيلون صاع المقام ثم يكيلون حبوبهم . وقد نجد اشجاراً مثمرة بالقرب من المقامات قد أوقفت ثمارها لعابري السبيل . او اباراً يشرب منها المسافرون كآبار النبي هوشع . واما الذين يقدّمون هذه البواكير فهم اهل الحضَر واهل المدَر من النصارى والمسلمين . ومن عوائدهم ان الفقراء يحرقون الثمن والحليب على قبر الاولياء وفي الاماكن المكرسة

﴿ الذبائح الدموية ﴾ ذبيحة المولود . ما كاد الطفل ينزل الى ضفاف الحياة ويبتسم لانوار الشمس حتى تتحلّى البادية بابهى مطارفها . فتفرح الامّ بعد كربتها وتعذُب لها الحياة بعد مرارتها لانه قد وُلد طفلٌ سيكون لوالده سنداً ولعشيرته بطلاً . وان كان ابن امير او شيخ يعمُّ الفرح والسرور فتبدو الخيول في ميدان واسع الاطراف وتجول الفرسان على متون الجياد السابحات بابهَّةٍ وجلال . لكن قد ينشأ هناك من الشعور الرهيبة والعواطف السريَّة المخيفة ما يدفعهم على تقديم الذبيحة . فينحر الاب الجزور او النعجة البيضاء كي يدفع عن الطفل الارواح الخبيثة او العيون الحاسدة وينضح جبينه بالدم مسترحماً المولى ان يبعد عنهُ الامراض والعاهات . فهذه اوّل خطوة في مراقي الحياة . وهذه العادة جارية عند الشرارات كما رواها لي مزعل الشراري وعند الشرايرة وبني صخر . واما العرب القاطنون بالقرب من المدن والقرى فقلّما يبالون بها . على ان الأُنثى لا يُقام لها اكرام في العشيرة ولا ذكر لولادتها

ذبيحة الطهر . واذا بلغ الطفل الثالثة او الرابعة يسعى آله بتتميم فريضة الختان . يخرج الاهلون والجيران خارج المضارب ويجمعون من الحجارة الغير المنحوتة عدداً وافراً ويرفعون بها جثوةً ويضعون في وسطها غصناً اخضر من الاشجار المألوفة كالزيتون والرَّتم والطرفاء والسنديان والدُّوم والدفلى . واذا لم يجدوا شجراً يأتون بشيح وهو ذو رائحة طيبة وينصبونهُ فوق الجثوة ويُركبون الولد على نعجة بيضاء ويطوفون به سبع مرات حول هذا الهيكل البسيط . فما تكاد الذبيحة تصل الى مركزها الاوّل

حتى يقف العبد قائدها فينتضي الاب سيفاً ويضرب قوائمها فيعقرها ثمَّ يدير رأسها نحو الجنوب وينحرها قائلاً : « باسم الله وعلى اسم الله . ردّي عنهُ المكروه والروح الردي » . ثم يتقدَّم رجل بارع بمهنة التطهير فيختن الطفل ويعالجه باعشاب طبيَّة الى ان يبرأ من جرحه . ومن اعشابهم القويطبة يسحقونها بعد جفافها ثم يرشونها على الجرح فبعد اربع وعشرين ساعة يبرأ الجرح . وقد اكد لي ذلك مُناور شيخُ الفنيات وحفظت منها كمية عالجتُ بها بعض المجروحين فنالوا الشفاء السريع

فالختان عيد تتاره العاب بدوية منها ان المدرَّبين على الخيل ورماة الرصاص يلتئمون في سهل واسع وينصبون رأس الذبيحة على مرتفع من الحجارة فيرمونهُ تباعاً ومن اصابهُ نالهُ جائزة ويسمونهُ علاماً . وقد عهدت مشهوراً ابن الشيخ فواز الصخري يرمي فلا يخطئ ابداً وهو في الرابعة عشرة من عمره . على ان الفرسان يختارون الميادين المنبسطة ويرفعون في آخرها علماً ابيض ولاوّل اشارة يطيرون الى حيث الراية . وكم من فارس يعود خجلاً وكم من سابح ينال شهرة بعيدة . كان في قرية ماعين شاب يُدعى مفضي بن موسى الحدادين . فانتظمت الخيول من عرب بني صخر وبلقاء وحمايدة واخذ الفرسان يجولون على ظهور جيادهم . وما كادت الاشارة تبدو حتى هبَّ مفضي يطير بفرسه كالنسر نحو العَلَم المنصوب وكنت ترى الخيول وراءه تتلوهُ مجدَّة بين صياح وضجيج وما هي الَّا لمحة بصر حتى رفع العلم بيده وأراه للحاضرين . واخذ الجاوس والفرسان يقدّمون لهُ آيات التهاني . وكان احد الصخور ينظر اليهِ بعين الكبر والحسد . فقال لهُ : ما لك تنظر اليَّ بعين غضب . قال لهُ : « انت ولد زين يا حليل لو ما كنت نصراني » . اي ما احلاك لو كنت من عرب بني صخر المسلمين

واذا سدل الليل سجفهُ تحتفل المضارب بليلة ساهرة يجتمع الاعراب من غنيّ وفقير وسيّد وعبد لاستماع الرَّباب والشعر البدوي . ثم ينتقل الترنيم الى رقص وتصفيق يعرف عندهم بالسحجة . وسنصفها في باب الاعراس

وهل يا ترى يعتبر البدوي الختانة فرضاً ضرورياً واجباً ؟ نعم . ولا احد منهم ينكر ضرورتها فلهذا يأنسون اليها ويقيمون لها اعياداً بهجة . على انهم يختلفون في زمنها فعرب بني صخر يختنون اولادهم في السنة الرابعة او الخامسة اما عرب البلقاء

فلا يؤجلونها الى السنة الثالثة . والشرارات لفقرهم وقلّة ذات يدهم يرجئونها الى أمد بعيد الى ان يحصلوا على الذبيحة . على ان المسيحيين يقدمون الذبيحة بما يقابلها عندهم اي في يوم العماد . ويحتفلون به كما يحتفل الاعراب بالختانة

ذبيحة الصفاح او الخطبة . يبلغ الشاب الرابعة عشرة من عمره فيسعى الاهلون لزواجه . وربما سبق الزواج هذا الاجل . فتلتئم اقطاب العشيرة ووجوهها ويقصدون بيت العروس وبعد جلوسهم يدور صاحب البيت بالقهوة المرّة فيمسك المتقدّم عن الشرب ويقول : لا نشرب القهوة حتى ننال طلبنا . فيقول لهم : يا هلا بالكرام . فيقول المتقدم : « جينا طالبين راغبين وان شاء الله من عندك ما نطلع خائبين » ثم يطلب الابنة للشاب فيطول الحديث على المهر وهو ثمن الابنة . فالعروس تُشترى باثمان باهظة وربما بلغ ثمنها الفين او ثلاثة آلاف فرنك . وبعد جدال طويل يخرج ابو الشاب فيذبح الشاة المعدّة فيقال حينئذٍ : « فلان ذبح على فلانة » اي خطبها من والدها . وعند الشرارات والرولة ينضحون راس المرأة ويدها بالدم . فالذبيحة هي الرباط الشديد الذي لا يقوى على حلّه الاقارب والاصحاب ومن عاداتهم ان اهل العريس يقومون بلوازم الوليمة من ارزّ وسمن وطحين وحطب وغير ذلك . فاذا رجع ابو الابنة عن وعده يعوّض العريس من جميع ما تكلّفهُ وينالهُ ازدراء العشيرة كلها لانهُ خرج عن سنّة الشرف الاعرابي

وبعد تناول الطعام يربط العريس ديناراً في احد اطراف كوفيّة حريريّة ويقدّمها لخطيبته دلالة على ان روابط المحبّة قد استوثقت عُراها وتمكّنت صِلاتها فلا يفكها الّا الموت

ومن عاداتهم انّ الطفلة الصغيرة تصبح وهي في مهدها عروسة لابناء الامراء . وهذا ما حدث منذ عهد بعيد في الكرك . كان الشيخ مجلي صديقاً لاسرة مسيحيّة هناك . فزارها يوماً وكانت صاحبة البيت قد ولدت ابنة فهنّأ ربّ المنزل بالمولودة . فاجابه عن لطف : « هي محسوبة لك (في كيسك) . فعدّها من تلك الساعة خطيبةً لابنهِ . ولمّا بلغت العاشرة من عمرها طلبها من ابيها فقال لهُ : « اطلب ما شئت فهو يسير في جنب ما لك من الصداقة امّا الابنة فهو امرٌ عسير » . فابى الشيخ الّا اخذها . فارتاب المسيحي في امرهِ وضاقت الدنيا في عينيه . فهرب بأسرته الى

غربي الاردن وسكن في بيت لحم . وبعد طول الزمان عاد الى الكرك وهو من عشيرة الحدادين ثم نزح وقطن في قرية ماعين فنجا من لجاج الشيخ

غير ان بعض الاعراب لهم ذبيحة غريبة دون سفك دم بها يرتبطون بروابط الذبيحة . فان عزاب الشرارات والمتوغلين في البوادي اذا ارادوا ان يقترنوا بالزواج يضع العريس في قبضته اليمنى حنطة وتطبق العروس يدها فوقها . فيقول الشاب: « أتقبليني لكِ رجلًا على سنّة الله والرسول» . فتقول : قبلتُك . ثم تعيد السؤال نفسه قائلة : « تقبلني لك امرأة على سنّة الله والرسول» فيجيب: قبلتكِ . فيقول: «بحق البرّ وخالق البرّ لا توق ولا بوق . هي سنّة الله ورسوله . ورباط العيش وربّ العيش انا لكِ وانت حليلة »

والاعراب يعتبرون الذبيحة ضرورية في عقد الزواج لانها تصد الاب عن طلب زيادة في المهر . وقد رأيتُ آباء عديدين قد نكثوا بعهودهم لان الخطبة لم تتبعها الذبيحة المعهودة

ذبيحة الحنّاء ان اهل البادية يقصرون امد الخطبة . واذا اقترب الاجل المضروب للعقد او الاكليل يُعدُّون الاثاث والفرش ويحضرون الذبائح . وقبل ذلك بيوم تجتمع المغنيات المطربات في بيت العريس . وتستتر كل ثلاث منهنّ بعباءة ويسرنَ الى بيت العروس ممتدحات اصحاب البيوتات واهل العزّ والكرم حاملات ثياب الخطبة على طبق . وهكذا بين الترانيم والاغاني يصلنَ الى البيت ويزيّنَ العروس بحلاها البدويّة . ثم يذبحنَ الذبيحة وهي شاة سمينة ويتناولنَ الطعام . وتقوم الماهرة بينهنّ وتطلي اعضاء العروس بالحنّاء كالايدي والارجل والشعر ولهذا تسمّى ذبيحة الحنّاء

وفي اليوم التالي تقاد العروس على فرس أصيلة او ناقة بيضاء بين الاهازيج البهجة الى الكنيسة او الى بيت العريس حيث يصير العقد او الاكليل . وقبل ان يدخل العريس الى مخدعه تذبح أمُهُ ديكاً بين رجليه كي تحجز عنه مصائب الزمان ونكبات الدهر

وكثيرًا ما يعلقون على عتبة البيت خميرة وفوقها غصن زيتون فاذا ولج العريس الى مخدعهِ يخبر بها بديتهِ فيشطرها شطرين فيتفاءلون بزواج سعيد وايام هنية . وكانت

هذه العادة جارية في عهد الجاهليين . بل جاء ذكرها بين اليونانيين والرومانيين وهي من الخرافات القديمة

ذبيحة الحلية وبعد هزيع من الليل يأخذ اهل الحي في الرقص والغناء ويفد المهنئون الى مضارب الزوجين ويقدمون لها ما تجود به انفسهم من دراهم وحلى . وقبل النوم ينهض العريس وينحر نعجة بيضاء قائلاً : « حلّي حلّلك الله » اي انّ زوجتهُ اضحت حليلة لهُ وفي البادية يتضح امرأتهُ بدم الذبيحة يعدُّ بذلك الزواج مكرَّساً وهذه الذبيحة هي دينية محضة ولها محل رفيع من الاعتبار عند الاسلام ويعدّ الزواج بدونها حراماً . وبها يعتقدون انهم يدفعون الاضرار والمصائب عن الزوجين . واوّل من يأكل من هذه الذبيحة هما الزوجان دون غيرهما . وقد عاينا هذه الاعراس بانفسنا وحضرنا افراحها في الربوع العامرة والمضارب الشعرية

ذبيحة القرى يقول الاعراب في لغتهم : فلان أقرى لولدهِ اي ذبح الذبائح صباح العرس ودعا المدعوّين ليشاركوه في الافراح والهدايا . فيجلس العريس والعروس على سدَّة مرتفعة في صدر البيت فيدخل المدعوّ فينهض العريس فيتصافحان ويقبّلان بعضهما بعضاً فيقول له على سَمْع من الحاضرين : « مبارك البيت الجديد » . ولا يجلس العريس على عرشهِ هذا الّا بامر الزائر الكريم . وينحرون سبع نعاج فما دون على حسب غناهم . ويوزّعون الى كل خيمة من اصحابهم واقاربهم فُلذة من اللحم وقد يظهر كرمهم بما يقدّمونهُ للمدعوين . ولهم مثل يدلّ على الجود والكرم في مثل تلك الحالات فيقولون : فلان يغمس ايدي ضيوفه بالسمن والدهن

ذبيحة الطلاق درجت الايّام ودرجت معها افراح العرس واتت الحياة باتراحها . وقد طُبع الاعرابيّ على الغضب وحدَّة الطبع وجرى لسانهُ مجرى الشتائم والطلاق . واوّل هفوة تصدر من المرأة يقول الرجل : عليّ الطلاق . وتبدو عليه اشارات الكدر . واذا تعدَّدت الهفوات يقول لها : انت طالقة . وربما قال في حديثهِ : « عليّ الطلاق او عليّ الحرام ان كنت فعلت الامر المذكور » فيطلقها وهي تكون بريئة من ذنب او مثالاً في اللطف والطاعة . فيدَعها ويترع عنها نعيم الحياة لكلمة جرى عليها لسانهُ . ولكن لا يمرُّ عليه زمن حتى يرى عجزه وحدهُ فيندم على ما جنت يداه من الطيش والغضب

فيجد حلًا لهذا المشكل . غير انه يلقى عقبات شتّى في زواج جديد من طلب اموال طائلة وشروط باهظة ويردعه ارباب العقول الراسخة عن سالف سيرته ويحثونه على ارجاع زوجته الاولى . فيرسل الوفود ويقدّم العهود ويستصفح عما اتاه في سورة الغضب . فتعود المطلّقة الى زوجها . وقبل ان تلج الى الخيمة يذبح ذبيحة الطلاق او بالاحرى ذبيحة التلاقي . وينضح جبين المرأة قائلًا : «حلّي حلّاكِ الله» . ويدعوها العرب تثنية اي الزواج الثاني . على ان العاهرة لا تُردّ اصلًا كما ذكرناه في باب الحقوق . وللاعراب مثل في ذلك : «من طلّقها لا يراعي بياض ساقها» اي من ترك امرأته لايندم على فعله ولا يذكر محاسنها

غير انّ ارباب المدن واصحاب الشرع قد اباحوا ارجاع المطلقة بشرط بعيد عن مواطن الاداب وذلك ان الرجل يعمد الى احد معارفه ويوكله ان يتزوج المطلقة ثم يطلقها ويدعها لرجلها الاول . فهذه الوسيلة قد كرهها اصحاب المضارب واستهجنوها وقد اصابوا بما فعلوا لانه قد يحدث ان الموكل يتخذها زوجة له ولا يطلقها الا بالرشوة الفاحشة وهذا ما يسميه اهل الشرع التجحيش

ذبيحة البيت وبعد ان أسس الشاب اسرتهُ يسعى لجمع المال وتربية الماشية مما يؤهّله لان يرفع بيتاً لنفسه منفردًا عن والده . واما ما يضطرّهُ الى ترك اهله هو ما يقع من اسباب الشقاق وعوامل التحاسد في اسرته المتدّة الفروع . او ما يدفعه اليه الطمع وحبُّ الذكر والفخر . فيفترق عن اسرته وقد خلّف لوالديه الحسرة والكآبة . وفي نفسه من الآمال البعيدة والاحلام السعيدة اذ اصبح حرًّا في امور منزله . على ان رفع هذه الخيمة يتال اهتماماً عظيماً وافتخاراً كبيرًا . فما هي هذه الخيمة الشعريّة الحقيرة القائمة في السهول او في سفوح الجبال ؟ هي نقطة سوداء لا تكاد تقف في وجه الرياح ولا تقوم سدًّا في سبيل السيول الجارفة . غير انها في عين البدوي ذات عزّ واكرام لانها بيتهُ ووطنهُ . فيقام لرفعها عيد بهيج يكرّس بالذبيحة المعهودة . فبينما يضربون اوتادها ويشدّون اعمدتها يديرون رأس النعجة نحو الجنوب وينحرونها قائلين : « دستور يا صاحب البيت » وينضحون بدمها النسيج الشعري والاعمدة والاطناب والاوتاد ويسترحمون الارواح الحوانية كي تدفع عنها الاحزان والصبابات

ولقد تأصلت فيهم الخرافات حتى انهم لا يوقدون في ارض قبل ان يقدموا

النعجة البيضاء لربّ الفلاة . روى لي مزعل الشراري قال : «طال العهد بيني وبين اخي ووفرت اموالنا وكثرت ماشيتنا . فطلبنا ان نقسم رزقنا . فنال كلٌ ما قسم له المولى ورمتُ ان أنال ذكراً ومجداً فاقتُ لنفسي مضرباً واسماً ونحرت جدياً صغيراً لربّ المحلّة . ففي منتصف الليل وقف بنا جبّار من الجبابرة المرّدة وقال : يا مزعل خُسْ من رجل . أيكفيني جدي طعماً ورائحة ام ضنَّت نفسك عن النعجة البيضاء . فلم اكترث بكلامه . وظهر في الليلة الثانية بوجه غضوب وعيون تتّقد شرراً وقال : ويحاً لكَ لِمَ لمْ تنحر لي من خير ما عندك . وتهدّدني بالخراب والشقاء . فنهضتْ مذعوراً وجمعتُ العشيرة ورويت لها ما رايت وسمعت . ثم تمّمت فريضة البيت فسكن غضب الاولياء وهجرت عني الاضرار »

ذبيحة الواسط ان الشيوخ اذا رحلوا الى غير منتجع طلباً للمياه والكلأ يذبحون ذبائح كثيرة او ينحرون جزوراً ويُولِمون الولائم للفقراء وينضحون اعمدة البيت بالدم . وكم من مرة طمحت نفوسهم للغزوات فاذا عادوا غانمين يوسمون نطاق البيت ويرفعون عموداً وسطياً يدعونه واسطاً فلا بدَّ حينئذٍ من تقديم الذبيحة . فهذه الذبيحة تسمى ذبيحة الواسط . واذا اضطرُّوا ان يحجزوا أرياح الغرب عنهم ينقلون الرواق من الشرق الى الغرب ويقدمون الذبيحة

ولقد نجد بعضاً من الاعراب يقطنون تارة البيوت الحجرية وتارة البيوت الشعرية كمثل اهل السلط والكرك وعمان والشوبك . فاذا انتقلوا الى بيوتهم الشعرية ينحرون ذبيحة وينضحون بها الخيمة الاطناب كما فعل ذلك بمهد منا الشيخ ابو ستة وعبد المهدي ابو وندي من امراء العوازم

ذبيحة الطاحون : اذا رام البدوي ان يشرّق اي يرحل من الغرب الى الشرق طلباً للنجعة وذلك بعد الحصاد يهتم بطحن ما يتيسر لديه فان كان شيخاً يأتي بخمسين جملاً محملة من الحنطة والشعير ويطحنها دفعة واحدة . لانهم يتوغّلون مسافة عشرة ايام في البادية . كما ذكر لي ذلك مشهور ابن الشيخ فواز امير بني صخر . فلا بدَّ من تقديم الذبيحة للفقراء واطعام الجائعين والمساكين من باكورة الحنطة . فيسمونها ذبيحة الطاحون

ذبيحة التبة : ان الاعراب يستخدمون في بناء البيوت الحجرية الاعتاب القديمة

التي ابقتها العصور الخوالي في الاطلال البالية . فلقد يجد الناقشون احجاراً يعجز الفن عن تمثيلها وقد رسم عليها من انواع الازهار والكنايات ما ترتاح له النفوس وتقرّ له القلوب والعيون كما في قصر المشتّى في شرقي زيزيا . واهل البيوتات من البدو يؤثرون تلك الاعتاب على غيرها واكثرها موجود في قرية مادبا وماعين وحسبان والمال وذيبان وشيحان والكرك . فاذا رفعوا فوق ابوابهم تلك الاعتاب يذبحون الذبائح وينضحونها بالدماء . وقد يقولون في امثالهم السائرة : «الرزق اعتاب وكعاب ونواحي» . اي ان ابواب الرزق ثلاثة منه ما تجلبه الدار السعيدة المنضوحة بالدماء . ومنه الرماح في الغارات والحروب . ومنه نواحي الخيول الاصيلة والاولاد الصالحين . فعلى كل عتبة نرى اثار الدماء في المزارات والبيوت الحجرية

وارباب البوادي اذا ارادوا ان يشيدوا بيتاً في سهولهم جمعوا الجموع لمساعدتهم فترتفع الاسوار وتعلو في الفضاء بدهر قصير وتصبح مسكناً رحباً ولكن عند القناطر يحتاج الى ذبيحة وكذا مدّ الاخشاب وتسهيل السقف . فينحر الاعرابي الشاة على حافة السقف لتسهيل الدماء على الجدران ويقول : « دستور يا صاحب البيت دونك ذبيحتك » . وربما لم تملك يداه ذبيحة فيتقدم رب الاسرة بقلب متخشع ويرفع ذراعيه ضارعاً وقائلاً : « يا صاحب البيت عليك الصبر وعلينا الوفاء »

ذبيحة المائت قضى البدوي من الحياة شطراً كبيراً فتنعّم بلذّات العمر وراى اولاده قد درجوا في ميدان المعترك الانساني على انه ما عتّم ان رأى ايام الاحزان والاتراح قد وافت فتشعر نفسه باقتراب المنون فيأسف لانه يموت على فراشه ولم يمت في ميدان الحروب . غير ان الاهلين ينذرون نذراً ذبيحة صالحة للمولى الرحيم كي يمنّ عليه بالشفاء . فاذا قضى نحبه يودّعونه وداعاً اخيراً بالدموع والعبرات . بيد ان الذبيحة تتبعه في سائر اطوار حياته الى لحده وانتقاله الى الحياة الاخرى . وربما اختلف البعض منهم على انواع التقادم ولكنّهم جميعهم يقدمونها للفقراء . وفي كل يوم ينحرون على قبره نعجة الى اسبوع كامل وفي مساء دفنه تذبح ذبيحة العزاء وفي ختام الاسبوع تتم المناحات وتجفّ العبرات فتكون خاتمتها ذبيحة «السبوع» وقد جرت هذه العادة بين عرب البلقاء وبني صخر وبني حميدة . وللمائت عشاء في ليلة دفنه وذلك انهم ينحرون نعجة او شاة على قبره ويقولون « دونك زادك يا فلان او دونك عشاءك يا

ابا فلان » . ولا مشاحّة ان تلك العادة هي وثنية محضة نجدها مسطّرة في تاريخ الجاهلية واساطير اليونان والرومان

عيد الضحيّة ومن اعظم الذبائح الدينيّة هي ذبيحة الضحية . وقد حضرتُ هذا العيد البهيج عند الوندديين . وقد ضحّى الشيخ ابو ستة ضحيّة لوالده علي الوندديين في قمة جبل ماعين . وقد أحضروا الناقة البيضاء الكاملة الاعضاء ووضعوا على سنامها ثياباً وخرجاً مملوءاً حنطة وملحاً وبلحاً . فالزكاة في هذا العيد هي مفروضة ولا تصلح الذبيحة بدونها . فالثياب يتقاسمها الفقراء على الارض كما يقول الاعراب والله يلبس مثلها في الجنة صاحبَ الضحية فلا يذوق عذاب البرد وألم الرياح الصرصرية . والمائت على زعم الاعراب يتطي هذه الناقة الى جنة النعيم فلا يعثر في طريقه كما ذكرناه في الضحية عند العرب الاقدمين . واما ما يملأونه في الخرج فهو زاد في رحيل المائت الى ابواب الجنة . وكان الى جانبي شيخ من عرب الموازرة يورد لي الشرح في معنى الضحية ولوازمها قال : « لا يصل المائت الى دار الخلد الأمتى حضرت الناقة والزهاب » والزهاب هو الطعام

ولربما ضحى الاعرابي ضحية وهو في قيد الحياة فينحر الجزور ويقول : « يا رب تقبّل ضحيّتي قبل مماتي » . وقد أكّد لي متعب العرامين ان علي الوندديين قد ضحّى عن نفسه في حياته . وقد روى لي محمّد الكنيعات من الفقراء ان الرولة يأتون بالذبيحة فيعقرون قوائم الناقة ويديرون راسها على حجر كبير وينحرونها فتسيل الدماء وتملأ الموضع . قال : وفي يوم الدين يوضع الحجر المنضوح بالدماء في كفّة الميزان الالهي فترجح الاعمال الصالحة على الخطايا والمآثم »

وقد رووا لي الحكاية الآتية قال مفضي الرولي : عاش اعرابي من عشيرتنا بالكبائر والفواحش ولمّا آن الزمان واقترب المنون قال في نفسه : « يا نفس يا نفس ما فيّ الّا ما يسوّد الوجه » . فسرق ناقةً ووافى بها الى صخرة في جبل مرتفع ونحرها على تلك الصخرة فسالت الدماء حتى غمرت قمّتها فقال : « لا ريب اني من ارباب اليمين وعداد الابرار الصالحين . فمَن من الملائكة يدحرجها عن محورها ؟ وهل ميزان العدل يسعها . لا ثمّ لا » . فارتاح فكرًا واطمأنّ بالًا ومات مبتسماً مسرورًا

ومما ذكره لي شيخ الحمايدة ان ابن الرشيد يذبح الذبيحة ويدوز بها حول الخيام

فيرمّ بدمها دائرة تحجز عنهُ المصائب والامراض . ومن لا يستطيع الى نحر الناقة سبيلًا يقدّم سبع نعاج او بقرة لله عزّ وجلّ . ومن الاعراب الفقراء من لا يجدون جزورًا فالعادة تسمح لهم بان يقدّموا نعجة كل سنة الى سبع سنوات وهذا ما يسير عليه اهل البلقاء والحميدة الشرارات

ويزعمون انّ المائت كثيرًا ما يظهر لاقاربهِ في الحلم ويوبّخهم على إهمالهم فرض الضحيّة فيسعى الاهلون باداء الواجب وتقديم الذبيحة . وقد رأينا الذبيحة مكتحلة العينين فسألنا عن السبب في ذلك فقالوا : «ان الذبيحة التي ارسلها المولى عوض اسحاق على جبل بيت المقدس كانت مكتحلة العينين »

ذبيحة البيدر اذا اتمّ البدوي حصادهُ يجمع الشمائل اكداساً في البيدر وقبل ان يُكسّر السنبل وتدوسهُ أقدام الثيران يأتي صاحب البيدر بنعجة او شاة ويقطع اذنها ويطوف بها حول السنابل . فيسمون تلك الدورة دورة القطشية ثم ينحرها لوجه الله الكريم

ذبيحة البقاء ان الامطار كثيرًا ما تتأخر في البادية فتجفّ الارض والاعشاب وتفرغ الآبار وتكاد الماشية تموت من شدّة العطش فيضرعون الى الله المنّان فتسيل السماء مدرارًا وتروي الارض والبشر فيقدّمون ذبيحة الشكر يسمونها ذبيحة البقاء . والبقاء هو الثمن يوضع فيه الحليب والسمن

ذبيحة الخيل الجواد البدوي هو فخر الاعراب ومجدهم . عليهِ يقطعون السباسب ويهاجمون العدوّ ويردّون صدمات الحروب وفيهِ يعودون كاسبين . فهذا الجواد لهُ اكرام كبير ومنزلة رفيعة في المضارب فلا تراه الّا مربوطاً في اكرم ارض امام خيمة الشيخ . واذا انتجت الفرس مهرةً حلّ الهناء في الخيم وانتشر السرور وذبحوا ذبيحة ونضحوا بدمها بطن الفرس والمهرة وقوائمها وناحيتها وغرّتها . واذا ابتاعوا لهم فرساً او كسبوها في الغزو يذبحون لها نعجة قبل ادخالها البيت . هذا ما فعله عودة بن عيدي لمّا اشترى فرسهُ المشهورة « الكبيشاء » ذبح الذبيحة وطاف بها حول بيته ليمنع عنهُ أذى العيون الحاسدة وأولم وليمة فاخرة ودعا اليها الاصدقاء والاقارب . فقلت لهُ : «ما هذه العادة وانت مسيحي . قال » : «هذه عاداتنا واذا لم نجرِ عليها خشينا عذل العاذلين ونظرة الطاعنين »

ذبيحة الفطام : ان اول ذكر يولد في القطيع يُقدَّم للمولى عزَّ وجلَّ او لاحد المزارات فيباع ويُدفع ثمنهُ لصاحب المقام او للكنيسة

ذبيحة التوريد : ان هذه الذبيحة تابعة لذبيحة الخيل وذلك ان الشريك اذا سلَّم النتاج الاول او الثاني لشريكه واصبح حرًّا بفرسهِ على حسب عوائد اهل الخيل يذبح ذبيحة التوريد لانه امتلك الفرس بتمامها لا جزءًا منها فتُشرق الصكوك والعقود ويغدو مستقلًّا بها دون معارض .

ذبيحة الكسب : انَّ البدوي لما نُظر عليه من حبِّ النزو . لا يهدأ له بال ولا تسكن له حال حتى يشنَّ الغارات ويكسب الغنائم على انه قبل ان يرحل الى غزواته المخطرة ينذر نذرًا لوجه الله اذا عاد منتصرًا غانمًا . ورئيس الحملة او القيد هو الموكل بتقديم الذبيحة واصطفاء خير ما اتى به من المغنم

ذبيحة النذر : لا يمرُّ يوم في البادية الَّا وترى الاعراب ينذرون النذور لله وللاولياء . ويخيَّل ان البدوي يشعر في سائر حياتهِ بيد شديدة قوية تضغط عليه فيخشى تلك القوة العاتية الربّية فيقدّم لها الضحية لتلهو بها عن اذاه . وهم ينذرون النذور قبل الاسفار طلباً للنجاح والتوفيق وقبل الغزوات البعيدة وفي القُرية . وقد ذكرناه في باب الارواح والاولياء .

وقد عاينتُ عادة غريبة في بابها اذكرها تفكهة للقرَّاء . ان النساء التي يموت لهنَّ اولاد في سنِّ الطفولية ينذرنَ نذرًا لله : وذلك انهن يَقِسْنَ النعجة شطرين ويطقنها على شجرة ويمررنَ وهنَّ حاملات اطفالهنَّ تحت ذاك القوس اللحمي . ثم يمرّ من تحتهِ الاب وبقية الاسرة . فالموت والمرض يهربان من تلك الاسرة . وقد تعهدتُ هذه العادة جارية ايضاً عند الروم الارثوذكس في السلط ومادبا والكرك . فان حضرة راعيهم الخوري ايوب الفاخوري قد مرَّ هو وامرأته وطفله تحت النعجة المشطورة . فمن هذا ينتج ان الجهل يعمُّ حتى المسيحيين في اعتقاداتهم الباطلة

ومما يخشاه الاعراب في بعض السنين الاوبئة الخبيثة التي تنتشر في البادية بسرعة غريبة . ومن امراضهم الطاعون والهواء الاصفر والجدري فتهلع لها القلوب رعدةً وجزعاً ويفرُّ الاعراب من مضاربهم تاركين مرضاهم بسكرات الموت يتقلبون على فراش المنون . فبينما تراهم اسودًا في الحروب قساةَ القلوب على اجتال نكبات الدهر

اذ نعاينهم في الامراض العمومية أجبن الخلق وأسرعهم الى الهرب . ولشدة ما هم عليه من الخوف يلجأون الى الذبائح كي يستنهضوا عزائم الارواح لمساعدتهم وتلك الذبائح تُدعى ذبائح الفدو او الفداء لانهم بها يفتدون انفسهم من الموت الزؤام . واذا مرَّ في دماغ البدوي حلم يظنُّ ان منبهاً يدعوه الى الذبيحة . فما كاد ينهض من رقاده حتى يقوم بما تفرضه عليه الواجبات الدينية . ولا يكاد يخرج من تأثير حتى يدخل في غيره ولكل وَهْم او حُلم يذبح البدوي ذبيحة

الذبيحة السنوية وقد نجد من الاعراب من يذبحون في كل سنة ذبيحة وذلك ان احد اجدادهم قد نذر نذراً باسم العشيرة كلها . فالعشيرة باسرها مربوطة بهذه العهود ويسمونها ذبيحة جلية بها يفون عن ذمة ابائهم

ذبيحة الغنم ولهم ذبيحة يدعونها ذبيحة الغنم في المزار . يطوف الراعي بغنمه حول المزار واذا رأى واحدة قد اقتربت من لحد الولي ووقفت امامه علموا ان نفس الوليّ قد اختارتها ضحية فينحرونها اكراماً واجلالاً فيرتفع الاذى عنهم وعن ماشيتهم

ذبيحة الروق ومن الاعراب من يخرج من عشيرته وينضمّ الى عشيرة اخرى اشدّ بأساً واوسع مالاً وجاهاً فيطلب شيخ العشيرة ان يقدّم ذبيحة وينحرها لجدّ العشيرة حتى يصبح كواحد منهم متمتعاً بحقوق القبيلة وامتيازاتها وقد تسمّى ذبيحة الروق

ذبيحة سليمان اذا اخضرّت السهول وازهرت الربوع في شهر ايار يرد الاهلون الى حمام الزرقا . وهو من الحمامات المشهورة كما ذكرناه سابقاً . فقبل ان يغتسل المرء في مياهه المعدنية يذبح ذبيحة لسليمان الحكيم صاحب هذا المزار

ذبيحة شيحان وقد اوردنا فيما سبق ان للجبال اكراماً عند الاعراب فمن تلك الجبال جبل شيحان وهو اعلى مقام في شرقي الاردن فهو لارتفاعه وعلو مقامه يرى الزائرين وافدين اليه من اطراف مؤاب والبلقاء حاملين الهدايا وسائقين النعاج اليه . ففي الربيع يعتدل هواؤه ويرقّ نسيمه وتصفو سماؤه فيفد اليه بنو حميدة والرولة وبنو صخر والمجالي ويذبحون على اطلال هناك نعجةً يدعونها نعجة شيحان ويسيل دمها في بئر منقور ويمنع عن الزائرين واهلهم الاضرار والنكبات

ذبيحة الضيف تركنا الرواية الآتية على لفظها البدوي كي يحيط القرّاء علماً بلغة الاعراب الحاليين وهي رواية مشهورة في شرقي الاردن يتسامر بها اهل البادية في لياليهم الساهرة وفيها من كرم الاخلاق وعلو المبادئ البدوية ما جعلها مثالاً يُضرب به المثل. قال الراوي وهو رجل شراري يُدعى سليمان: «تظاغنت(١ العرب بعد غزو وقتل ابن عياش اخوانَ الشريف الاثنين. فجلا (اي هرب) ابن عياش عن الشريف الى بلاد الشمال وأبعدْ. وراحت المادّة اثنا عشر سنة. أمحلت ديرة ابن عياش. هزل الطرش. ضعف الحلال. نشفت السيول. تحجّرت السما. بعث ابن عيّاش روّادهُ تورد البلاد. رجع الرائد قال: «لا بالله ما بهْ الّا ديرة الشريف (٢». قال ابن عياش: «كيف نرعى بديرة الشريف ونحن قَوْمْ (اي اعدا). صبراً جميلاً وبالله نستعين انا قتلت اخوته. هلّي جاي من الله ما أحلاه. سيروا على ما قدّر الله. واللّي كاتبه ربّك يصيره». سار حتى قرُب من الشريف. نوّخ الأباعر. جمع الحطب. اشعل النار. تناصف الليل. حطّ الكاسر قبال الكاسر (٣ قام الشريف باكر باكر يصلّي. التفت رأى الارض سودا. مثل الضباب والرماح مغروزة في الارض مثل الغاب والبيوت نازلة حوله. بعث العرب يعزم الطنايب على بيت الشريف. جاب الذبائح. حطّ الحلل. ركّب الطبخ. بعث عزمهم على القهوة. السلام عليكم. وعليكم السلام(٤. حيّا الله الرجال. حيّا الله الرجال. قوموا يا ضيوفنا عليكم جيرة (٥ الشريف قوموا اشربوا قهوة الشريف. فرفض ابن عياش صارت الدلال (اي اباريق القهوة) تتلى على النار. ارسل العبيد لابن عياش. صبّوا القهوة. لم يقبل يشرب. قال العبيد: ويش علامك يا ضيفنا. رجع العبد وخبّر الشريف قام الشريف بنفسه الى ابن عياش وقال: علامك يا ضيفنا ما تشرب قهوتنا؟ ان كنت مديون حنا (اي نحن) وفّينا دينك. وان كان راكبك عدوّ حنا نركب ونكسرهم. وان كان ابن عياش اشرب قهوتنا عفينا عنك.

---

١) يرى القارئ اللبيب بهذه الرواية اللفظ البدوي بحروفه دون تبيير وكأنه يسمع اهل البادية انفسهم يتكلمون. يقولون: تظاغن. اي تضاغن من الضغينة والضاد تلفظ ظا» في البادية. ثم ان العرب حينما تتكلم لا تضع حروف الطف بين الجمل. ونحن تركنا كلامهم على علّاته ٢) اي لا يوجد الّا ارض الشريف حسنة للرعى

٣) اي ضربت الخيام مقابل الخيام الشريفية ٤) هذا سلام التحية عند العرب

٥) اي نستحلفكم باعزّ ما لديكم اي بالجيرة المكرمة

قال : وحق الله انا ابن عياش . ومضى زمان طويل والايام تُطوى بينهم . مرّ الشريف وشاف ابن ضيفه قال : يا ابن عياش أهذه بنتك ؟ . قال : اي بالله . والحال هو ابنهُ ولكن جدايلهُ من قدّام مثل البنات (١ . التزم ابن عياش عمل صيوان (٢ لابنه مثل صيوان الشريفة عجائب ابنة الشريف . استعجبت الشريفة عجائبُ محسنَ ابنة ابن عياش . تسعين ليلة عاشوا بمحبّة وسلام . يوم من الايام سرح طرش (اي قطيع) الشريف مع طرش ابن عياش واذا غزو ثقيل (اي كثير العدد) من صوب عرب لام من الجنوب قشّوا (اي نهبوا) الطرشين وانهزموا . شافت الامّ ولدها قالت : يا ولدنا يا محسن ابوك يُذبَح وانت هنا مساوي حالك بنت . قال : انتم ساويتوني بنت لا انا . قال : هاتي الدرع . شدّ على الفرس رحمه بيده ونزل مثل الخاطّ تالي الليل . وصل وفات على الغزو مثل الشّاب حلق الخيل قال : يا عرب انا متحذّي (٣ . قال عقيد الغزو : ردّوا للولد عشرة اباعر . قال : يا محفوظ . الله ومحمد رسول الله هذول لا يشيلون البيت ألّي نطبخ به القهوة . قال : ردّوا له عشرة كمان . والولد مباريهم (٤ . ردّوا له مئة والولد مباريهم . قال العقيد : يا ولد ما ترجع وتأخذ طرشك ألّي اعطيك . قال محسن ابن ابن عياش : يا محفوظ اريد — ويش تريد — اريد الطرش من اوله عانا له . قال العقيد : اذبحوه عينهُ حمرا . اشتعل الحرب وقتَلَ الولد منهم ثلاثة عشر وردّوا الطرش ردّ القلايع (٥ وربطهم ببيت الشريف وقعَد . عرف الشريف قال : باطلْ باطلْ (اي اسفاً) هذا ولد وانا حسبته ابنيّة . كمد . في تناصيف الليل امر عربه بالرحيل طلع الفجر ما لقى ابن عيّاش الّا النار والارض المقفرة . زعل محسن ولد ابن عياش وبعث ذلّال (٦ راكب ذَلول فمشى عشرة ايام تجيبها بيوم واحد وكتب كتاب لعجائب ابنة الشريف :

---

١) اذا عاش الابن بالدلال يرخي جديلتهُ من قدّام كالبنات . فظنّهُ الشريف فتاةً ولم ينكر ابوهُ

٢) الصيوان خيمة للنساء ٣) تحذّى عند العرب اي طلب هبة وهديّة

٤) مباريهم اي سائر جنباً الى جنب ومزاحمهم ٥) القلايع جمع قليعة هو ما يؤخذ في الغزو من فرس اصيلة وشيء ثمين

٦) الذلّال . هو راكب الذّلول اي الناقة السريعة

يا كاتب المكتوب يا بو المكاتيبْ ... يا ناحرًا ثمّ الشريف الركايبْ (١)
خذْ لي كتابي أسرع كما الذيبْ (٢) ... خذ لي كتابي باسم حضرة عجايبْ
بنت الشريف القاعدة بالمراتيبْ (٣) ... بدروج هوج بوج موج الركايبْ
ظلّ الزمان يحطّ ويشيل ويجيب ... حتى جمع الشريف وابن عياش بالطنايب (٤)
تمين ليلة جاضمًا على طيبْ ... مثل ابنية مرخي ذوايبْ
والله ما حكيتها بحكي سمايبْ ... ولا مال قلبي ليسمها ميلْ عايبْ
والله لا خوفي من نار لهايبْ ... ولا من سيف شنيع الضرايبْ (٥)
خوفي من مقعد مناصيب ... يقولون ابن عياش خان الطنايب (٦)

تمت مقالاتنا عن الديانة البدوية وستتبعها بابحاث عن الاسرة العربية سائلين الله ان يوفقنا فيما ابتدانا به ويسّر ما نتوخاه من النفع في خدمة الاداب والوطن بمنّه وكرمه

تمت

وقفة
بين الناصرة وبيت لحم

لحضرة الخوري رفائيل البستاني (نقلًا عن البشير)

بُشرى الورى أزِف الوفا بمَوْعدِ ... وبدتْ طوالع فجر عهدٍ اسعدِ
فالارض تمرح والسماء تهلّلت ... وجهنّم خسئت بوجهٍ اكمدِ
أبشر وتهْ يا ايها الانسان قد ... امر الإله بسحق كَبْلِ (٧) مقيّدِ
حُرّرتَ من رقّ أمضّك غلّهُ ... فلقد دنا ميعاد ذاك المفتدي

١) الناحر القاصد يقول لهُ : سرْ بالركائب نحو الشريف
٢) ينسب الاعراب السرعة للذئب ٣) الجالسة على سرير مرتفع
٤) الطنايب هم الملتجئون الى امير الساكنون حبال البيت . يعني بهم هنا لبيران
٥) اي انه لم يتكلم كلاماً ساقطاً ليس خوفاً من نار جهنم ولا من القتل بالسيف
٦) ولكن يخشى مجلس الوجوه والاعيان اذ يقولون ان ابن عياش خان جيرانه
٧) الكَبْل القيد